2- أبو جعفر المنصور : 136-158هـ/753-774م

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ولد في الحميمة في بلاد الشام سنة خمس وتسعين بويع له بالخلافة بعد وفاة اخيه أبي العباس سنة ست وثلاثين ومائة وهو بطريق مكة المكرمة وتلقب بالمنصور وهو أول من تلقب من الخلفاء امه ام ولد بربرية تعرف بسلامة كان اسمر رقيق البشرة ونقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) جاءت الخلافة الى أبي جعفر المنصور وهو عائد من اداء فريضة الحج ، حيث كان أميراً على الموسم في سنة 136هـ / 753م ووصلته الرساله وهو في قرية الصفية على طريق عرعر - المدينة المنورة وكان يتقدمه في الموكب ابومسلم خراساني تجاوزا واستهتارا واستخفافا بولي العهد وتكبرا عليه وصلت النباء وفاة الخليفة العباسي الأول اول الأمر إلى أبي مسلم الخراساني يحكم تقدمه في الطريق لولي العهد فلم يكتب الى الخليفة الجديد بالتهنئة والتعزية معا كما هو متعارف عليه في الاجراءات الادارية في الدولة العباسية. بل قام ابو مسلم الخراساني بتعزية الخليفة ولم يهنئه بالخلافة، وكتب كما كان يكتب في السابق مبتدءا الكتاب بنفسه فقال : (عافاك الله وامتع أجرك اتاني خبر وفاة امير المؤمنين رحمه الله فبلغ مني اعظم مبلغ وزادني وجعا والما فاعظم الله اجرك وجبر مصيبتك ورحم الله امير المؤمنين وغفر له وجزاه باحسن من عمله) ساعد هذا الكتاب على تأزم العلاقة بين الخليفة أبي جعفر المنصور وبين والي خراسان ابي مسلم الخراساني لعدة اسباب منها أن ابا مسلم قد بدأ الكتاب بنفسه جريا على عادته في السابق وهذا لايجوز في الأمور الإدارية فعندما يكتب الادنى للاعلى يبدأ بذكر الاعلى ثم يذكر طلبه وهذا ناتج من الادب واللياقة وحسن الخلق وعمق الايمان لدي الفرد فعندما يحترم الشخص شخصا آخر فانما بالنتيجة يحترم نفسه لأن الشخص المقابل يحترم من يحترمه وهكذا يسود الاحترام بين كافة افراد المجتمع الأمر الثاني هو عدم تهدئة الخليفة وهذا من اعظم الاشياء لأن الخليفة هو رئيس الدولة والتهنئة بالنسبة له تعني البيعة والولاء والطاعة وعدم البيعة أو تأخيرها هو بداية خلاف وعصيان وعدم طاعة وتمرد وهذا من اخطر الاشياء على الدولة والخليفة والسياسة المستقبلية للخليفة . لهذا فقد اشعل ابو مسلم اوار نار لم يكن له أن يذكيها فهو وال يستمد شرعية حكمه من الخليفة فاذا حارب هذا الوالي الخليفة فمن اين سيجد له الشرعية في الحكم فضلا عن أن الحرب مطحنة للرجال والاموال وقد رد الخليفة ابو جعفر المنصور على رسالة ابي مسلم ردا دبلوماسيا فيه من الحكمة والتأني ما فيه وقد جاء فيه : (من عبد الله امير المؤمنين الى عبد الرحمن وصلنا كتابك فرأيتك غير موفق فيه المرشد ولا مسدد للصواب، ولكني ذكرت ما تقدم من طاعتك، فعطفي عليك وقد وليتك مقدمتي فسر على اسم الله وبركته حتى توافي الانبار ومن أنكرت من امره شيئا من عمالنا فاصرفه والاستبدال به اليك) وهنا دارت في خلد

الخليفة أبي جعفر المنصور فكرة التخلص من ابي مسلم الخراساني ولكن مستشاري الخليفة طلبوا منه التريث بالأمر حتى وصول مقر الخلافة في مدينة الانبار ليرى الخليفة رأيه فيه بعد ذلك فاقتنع الخليفة بوجهة نظر مستشاريه وهذه ناحية مهمة جدا عند القائد وهو كثرة المشاورة فالقائد الجيد هو الذي يحرص على اتخاذ القرار المناسب باقل التضحيات واقل الخسائر وهذا ما جرى عليه المنصور، ففي بعض الاحيان كان يستشير حتى الد أعدائه في القضايا المصيرية وهذه ناحية مهمة تؤكدها في دراسة التاريخ والهدف من دراسته هو اخذ العبر والتفكر بما فعله القدماء ، لكي نتجاوز الكثير من الأخطاء في حياتنا الحاضرة متمثلا بقول القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته ..... وقد يكون مع المستعجل الندم

ثم استمع ابو جعفر المنصور الى كل رأي سديد من أجل تجاوز اية مخاطر قد يتعرض لها الخليفة الجديد فقال له احدهم : (ياأمير المؤمنين أكره أن تحاربه في الطريق والناس جنده وهم له اطوع وله اهيب وليس معك احد) و (آخر الأمر حتى تقدم إلى شيعتك واهل بيتك) بعد ذلك كتب أبو مسلم الخراساني رسالة إلى أبي جعفر المنصور يهنئه بالخلافة جاء فيها :(أصلحك الله يا أمير المؤمنين صلاحا ناميا باقيا بلغني هذا الأمر الذي افظعني واتانى به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحصين الا ان سري عني الغم ولوعة المصيبة ماصار اليك من الأمر ، فنسأل الله ان يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولاك وأن يبارك لك فيما قلدته اعلم انه ليس لك يا أمير المؤمنين اشد تعظيما لحقك وحرصا على سيرتك مني والله اسال لك السلامة في الدين والدنيا) ثم بعد عدة أيام ارسل له البيعة وهذا التأخير كان يخفي وراءه دوافع عديدة أهمها :

1- ان تأخير البيعة يعني من الناحية النظرية والفعلية عدم الاكتراث بالخليفة الجديد لابل ربما عدم احترامه وانه ليس أهلاً للثقةوالمبايعة

2- محاولة ارهاب الخليفة الجديد وذلك باشغال فكره في سبب تأخير بيعة أهم والي من ولاة الدولة العباسية وهو أبو مسلم الخراساني

3- ربما يثير تأخير البيعة الشكوك بولاء هذا القائد وأن تأخيرها كان لاستجلاء آراء مساعدي أبي مسلم في تنصيب شخص بديل لهذا الخليفة والمشاورة واستطلاع الآراء قد تأخذ بعض الوقت لأن هذا الأمر له ما يعقبه من امور فلربما وقع اختيار ابي مسلم على شخص قد يسبب له المتاعب مستقبلاً

4- ان تأخير البيعة يعطي مسوغاً لنقض العهد امام حجاج خراسان المرافقين لأبي مسلم وللجند وقادة جيش خراسان المرافقين لأبي مسلم الخراساني .

5- أن عدم المبايعة امام الاشخاص المرافقين للخليفة الجديد قد يثير شكوكهم في الخليفة الجديد وأن هناك ايد خفية تؤدي دوراً في تنصيب او عزل الخليفة أبي جعفر المنصور وربما يؤدي هذا التأخير إلى تغيير ولاء الجند المرافقين للمنصور الى أبي مسلم الخراساني ولهذا نجد أن الخليفة كما مر بنا يعقد مجلسا للتداول بالأمر ويستطلع الآراء ويناقشها ويعلق عليها ويقبل بنصيحة الناصحين والمشيرين فعلى الأقل يشعر من معه الله عن تحركات أبي مسلم الخراساني وليس غافلا عما يراد به من سوء ليضمن ولاء جنده له أو على الأقل ينبههم لخطورة ما قد يحدث لهم او للخليفة الجديد جراء أي غفلة او اهمال او تقاعس من قبل المحيطين ليس غافلاً بالخليفة وعلى أية حال سعى الخليفة ابو جعفر المنصور الى تدارك ما قد يحدث وترك آبا مسلم الخراساني يسير امامه الى مدينة الانبار وصل ابو مسلم الى مدينة الانبار والتقى بولي العهد عيسى بن موسى وكان هذان الشخصان من اعز الاصدقاء لما تربطهما من وشائج الدعوة العباسية . واللقاءات التي كانت تحصل بين كبار افراد البيت العباسي وكان منهم ولي العهد عيسى بن موسى مما يؤكد دوره في الدعوة واهمية هذا الدور قد جاء من خلال تعيينه وليا للعهد التقى أبو مسلم الخراساني مع ولي العهد عيسى بن موسى ،ودار بينهما حديث شيق عن ايام الدعوة العباسية وعن الخليفة السابق ابا العباس وعن رحلة الحج وما رافقها من تعب ومشقة وفرح باداء الحج وعن الخليفة ابي جعفر المنصور وقد المح ابو مسلم الخراساني الى عيسى بن موسى الله بالامكان تعيينه خليفة للمسلمين دون أبي جعفر المنصور وقال له : (ان شئت خلعنا أبا جعفر وبايعناك) ، فقال له عيسى بن موسى انه عمي ولو قدمني عليه تقدمته على نفسي أن هذه المحاولة وإن لم تنجح فانها تحمل في طياتها أهدافا كبيرة وخبيثة تدعو المؤرخ إلى التأمل فيها بدقة وعناية . وذلك للأسباب الآتية :

1- وجود نفس لدى ابي مسلم الخراساني بعزل الخليفة وهذه سابقة لم تحدث في العصر العباسي وعند وفاة اول خليفة .

2- وجود من يؤيد أبا مسلم بهذه الفكرة فلا يمكن لأبي مسلم ان يطرح هكذا أفكار خطيرة دون ان تكون له قاعدة تدعمه في هذا الاتجاه

3- وجود شرخ كبير في العلاقة بين ولى خراسان ابا مسلم الخراساني وأبا جعفر المنصور بحيث يؤدي هذا الشرخ الى تقاطع المصالح والاهداف بين الاثنين .

4-وجود من يتقبل هذه الفكرة من الاسرة العباسية نفسها وهذا ما تبين بعد ثورة عبد الله بن علي ضد الخليفة ابا جعفر المنصور ومن قام بمناصرة عبد الله في ثورته من الأسرة العباسية ومن اعمام الخليفة ابا جعفر المنصور سواء أكانت دعواه باطلة ام صحيحة وصل ابا جعفر المنصور مدينة الانبار بعد رحلة الحج وحصل على البيعة من مناطق متعددة ومن بعض اعمامه الذين كانوا يديرون ولايات مهمة آنذاك لكن احد اعمامه ادعى احقيته بالخلافة ودعا الناس إلى بيعته وهو عبد الله بن علي ولكي نسهل الموضوع سنتناول اهم الاحداث الداخلية والخارجية في عهد الخليفة أبا جعفر المنصور

أ - الأوضاع الداخلية .

ب- الاوضاع الخارجية.

الاوضاع الداخلية :

شكلت بعض الأحداث الداخلية في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور سمة عصر المنصور ، لابل رسمت سياسات من جاء بعده من الخلفاء العباسيين ، ويقف في مقدمتها ثورة عمه عبد الله بن علي ومقتل ابي مسلم الخراساني ، فضلا عن بعض الأمور التي سنؤشر بعضها هنا وهناك

1 - حركة عبد الله بن علي :

بعد انهزام الجيش الاموي في معركة الزاب ، تولى عبد الله بن علي ، مطاردة الجيش الاموي بقيادة مروان بن محمد ، حتى غادر بلاد الشام ، ثم لاحقه عبد الله ابن علي حتى فلسطين ، فصدرت اوامر الخليفة العباسي الاول بضرورة توقف عبد الله بن علي في الشام وتوليته عليها) ثم طلب الخليفة من صالح بن علي ملاحقة مروان بن محمد . وقد ظل واليا عليها طيلة عهد الخليفة العباسي الأول ابى العباس ، وكانت الدولة البيزنطية في هذه الفترة قد استغلت الظروف الداخلية ، بزوال الخلافة الأموية ، وظهور الخلافة العباسية ، احسن استغلال لصالحها ، فوسعت حدودها و مدت نفوذها ولما كانت الخلافة العباسية منشغلة فى الثورة ، فكان ولابد من أن تهمل المناطق الحدودية ، كما ان انتقال مقر الخلافة من دمشق الى العراق له أثره الكبير في بعد مركز الادارة عن هذه المنطقة المهمة ولما فرغت الخلافة العباسية من مشاكلها الداخلية ، أصدر الخليفة ابو العباس اوامره الى والي الشام عبد الله بن علي ، بضرورة اعداد جيش كبير وقوي ، لمواجهة الدولة البيزنطية، وارسل له الاموال اللازمة لتعزيز تلك الحملة ، وقد اعدت حملة كبيرة مجهزة بكل ما تحتاج اليه الحملات المتجه الى حدود الدولة البيزنطية، من عتاد ومؤن ورجال ذوي خبرة في

حرب البيزنطيين ، وكان جلهم من اهل الشام ، الذين خبروا القتال مع البيزنطيين ويعرفون أساليبهم القتالية ، ومناوراتهم والنار الاغريقية واستخدامها والمنجنيقات وعدتها،ولما استكملت الحملة العسكرية، صدرت أوامر الخليفة العباسي الأول أبي العباس الى عمه عبد الله بن علي بالتوجه صوب اراضي الدولة البيزنطية ، فتحركت الحملة من دمشق ، واتجهت شمالاً حتى وصلت الى مدينة دلوك ، وفيها بلغهم نبأ وفاة الخليفة العباسي الأول ابا العباس ، وتولية ابا جعفر المنصور، ومن بعده عيسى ابن موسى ، وهذا ما دعا عبد الله بن علي لاعلان عصيانه على الخليفة الجديد ابا جعفر المنصور ان ماحدث كان شيئا غير متوقع من الاسرة العباسية ، فحكم الاخ او ابن الاخ او العم ، لا يعني شيئا في النظام الوراثي ، فما دام احد افراد الاسرة يحكم لاضير في ذلك ، اما ان ينبري احد افراد الاسرة ويطالب بالحكم بحد السيف الدولة في بداية تكوينها ، فهذا شيء لم يسبق له مثيل ، وربما يفتح الباب على صراعيه ، امام الاعداء قبل الاخوة والاعمام والاقارب الآخرين ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فالخطر البيزنطي على الابواب ، يعد العدة للانقضاض على كل مافتحته الدولة الاسلامية وقدمت له الكثير من الشهداء والاموال أصبح أثرا بعد عين ، تسيطر عليه وتديره الدولة البيزنطية ، وعبد الله بن علي يترك الجهاد وهو فرض عين ، ويطلب الخلافة وهو مخالف نازع يد الطاعة ، مفرق للجماعة ، ويستغل جيش الدولة التي بنته ودربته واعدته لقتال البيزنطيين ، لقتال فرق اخرى من الجيش العباسي ، أي بذل تضحيات وانفس وثمرات واموال ، لغرض مطامع شخصية ، وخلق مشاكل جديدة للدولة الناشئة هي في غنى عنها هذه الأمور كلها جالت بخاطر المنصور، فالثائر هو عمه والجيش الذي يحشده لقتال الاخوة هو جيش الدولة ، فماذا يفعل ؟.

ماهي العوامل التي شجعت عبد الله على الثورة

كانت هنالك عدة اسباب دفعت بعبد الله بن علي الى اعلان الثورة مهمه ومنها:

1 - القوة العسكرية التي كانت مع عبد الله، والتي لا يقف امامها عائق إلا وسحقته

2 - مساندة اهل الشام لحركة عبد الله بن علي في تحركه ، ظنا منهم انه سيعيد اليهم مكانتهم التي كانوا يتمتعون بها في ظل الدولة الأموية

3- طموح عبد الله بن علي ، كان دافعا وراء اعلان حركته .

اعتقاد عبد الله بن علي بانه احق من ابن اخيه بتولي الخلافة ، لانه قضى على مروان بن محمد وقد عرف عن الخليفة أبي جعفر المنصور رباطة الجأش ، وبعد النظر وحدة البصيرة، فضلاً عن

ان عبد الله بن علي في ولاية الشام ، ومقر الدولة في الانبار هو على مرمى هدف عبدالله بن علي ان اراد الهجوم ، واسقاط الدولة العباسية ، من أقرب نقطة اليها وهي بلاد الشام . وكان هنالك عدوان للخليفة أبي جعفر المنصور هما عبد الله بن علي الثائر والمطالب بالخلافة وابي مسلم الخراساني الوالي الطموح الذي لايقف امام طموحه شيء وكان على الخليفة المنصور معالجة هذين الأمرين سويا ، وهذا ما تم فعلا . اصدر ابو جعفر المنصور اوامره، باعداد جيش كبير ممن تجمع لديه من قوات في الانبار ، وكاتب مختلف الولايات لإنجاده بالجند على عجل وعين على هذا الجيش ابا مسلم الخراساني، الذي رفض تولي هذا الأمر ، وقال : مالي وهاذين ! ولكي يقطع ابو جعفر المنصور الطريق على ابي مسلم الخراساني قال له اما: خرجت انا أو انت ؟ ، فمن الطبيعي أن يقول القائد للخليفة بل اخرج انا له عوضا عنك توجه ابو مسلم الخراساني الى بلاد الشام ، وكان عبد الله بن علي قـــد تحصن في مدينة نصيبين ، وهذه مدينة محصنة بشكل جيد ، ، ومتوافرة فيها المواد الغذائية والعلف ، فضلا عن المياه ، ودار حول المدينة فوجد مناعة اسوارها من القوة والمتانة ، بحيث يعجز عن فتحها بجيشه الضعيف ، مقارنة بالجيش المتحصن فيها ، والمعد لقتال دولة كبيرة هي الدولة البيزنطية ، فادرك ان لاحيلة له لفتحها الا بالخداع ، فاعلن انه لم يأت لمحاربة عبد الله بن علي وليس له علاقة بالموضوع ، وانما جاء والياً على الشام ، وهنا طلب الجند الشامي المتحصن في نصيبين ، بضرورة الخروج من مدينة نصيبين واللحاق بابي مسلم الخراساني ، فنبههم عبد الله بن علي، الى الخدعة التي وضعهم فيها ابو مسلم الخراساني ، وأنه ليس له هدف الا هم ، لكنهم لم يلتفتوا الى رأيه،فاضطر الى الخروج من مدينة نصيبين، وهنا اخبرت العيون والجواسيس ابا مسلم ، بمغادرة عبد الله بن علي مدينة نصيبين ، فعطف عليها وسيطر عليها ، فاصبح هو في المدينة حيث الماء والطعام والعلف والاسوار فاصبح عبد الله في العراء. كما اصبح بحكم الواقع لا يسيطر على شيء ، حيث فقد العمق الاستراتيجي لمدينة نصيبين ، التي ربما كان يتحصن بها اذا اندحر امام الجيش العباسي. ازدادت قوة جيش أبي مسلم الخراساني، الذي كان يتعزز كل يوم مقارنة مع جيش عبد الله بن علي، الذي كان يصيبه اليأس والاحباط كل يوم ،فضلا عن فقدان مناصرة الخليفة له ، وفقدانه للشرعية التي يستند اليها في حرب الخليفة . وظلت الحرب سجالا بين الطرفين قرابة ستة اشهر حسمت في آخر لحظة ، اذ امر ابو مسلم بان تضاف الميمنة الى الميسرة ، فلما راى اصحاب عبد الله بن على فعلوا الشيء نفسه فنقلوا ميسرتهم الـــى ميمنتهم ، فاصدر ابو مسلم اوامره الى الجيش بالهجوم بمن تبقى في الميمنة مع القلب على ميسرة اهل الشام التي اصبحت ضعيفة فهزموهم ، وكانت الدائرة على عبدالله بن علي ، الذي أثر الانهزام والهروب ، وقد كان يعيب على مروان بن محمد هروبه أمام الجيش العباسي ، وبهذا فشلت هذه الحركة أو الثورة كما يحلو للبعض أن يسميها بالثورة ، وهرب عبد الله بن علي الى اخيه سليمان

والي البصرة واختفى مدة من الزمن، حتى اضطره الخليفة ان يخرج بامان ثم القى القبض عليه، بل ولم يفلته حتى تخلص منه ، في سجنه ، على الرغم من اعطائه امانا بذلك .

اسباب فشل حركة عبد الله بن علي :

1- اشغال عبد الله بن علي لقسم كبير من جيشة في اعمال جانبية مثل محاصرة بعض المدن والقصبات ، كما فعل في حران على سبيل المثال

2- عدم مهاجمة الانبار عاصمة الخلافة والخليفة غائب ، والقوات العسكرية في الانبار محدودة العدد، قياسا الى قوة عبد الله بن علي

3- عدم اخلاص اهل الشام الى عبد الله بن علي ، وذلك لأنه اذاقهم الويلات في قمعه المستمر لتمرداتهم

4- حسن اختيار الخليفة العباسي لقائد جيشه ابي مسلم الخراساني وكون قسم من جند عبد الله من اهل خراسان

5- سرعة تحرك الخليفة أبي جعفر المنصور، وسرعة استدعائه للجند من مناطق مختلفة وتوجيهها لدعم ومساندة جيش الخليفة أبي جعفر المنصور في بلاد الشام .

6- تخلص عبد الله بن على من عدد من قادة جند خراسان

7 - خسارته للموقع الحصين في مدينة نصيبين

8- الخطة العسكرية التي وضعها ابو مسلم الخراساني ، والتي انهت المعركة وحسمتها نهائيا لصالح الخليفة العباسي

٢- التخلص من أبي مسلم الخراساني :

هو ابراهيم ابن وشيكة ، وهو من اب فارسي وام جارية ، وقد باع والده امه وهي حامل به الى بني عجل في الكوفة ، وهنالك نشأ وأخذ يرعى مصالحهم ويجبي عشور الزراعة في اراضي اسياده من بني عجل ، وفي أواخر المدة الاموية ، دخل بعض بني عجل السجن في الكوفة ، ودخل معهم غلامهم ابراهيم ليخدمهم ، الذي تعرف على الشيعة العباسية في السجن ايضا وكان هؤلاء العباسيون يدعون للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فاعجب بافكارهم وانتمى الى حركتهم ، ثم صحبهم

الى بعض مجالسهم فابتاعوه من اسياده القدامى، وأصبح مملوكا لبعض الدعاة العباسيين ، حيث صحبوه الى الامام في قرية الحميمة ، فاعجب به الامام وطلب من الدعاة ابقاءه عنده فغير اسمه من ابراهيم الى عبد الرحمن ، وكناه بابي مسلم ، ومنذ هذا التاريخ انتمى ابو مسلم للدعوة العباسية وبعد تطور الأوضاع وانتشار الدعوة العباسية في خراسان بشكل كبير وبعد ان كسب عبد الرحمن ود الامام العباسي وثقته ، بحيث اصبح الشخص الذي يعتمد عليه ويثق به ، حتى انه قال له في احدى المرات :ياعبد الرحمن انك منا آل البيت !!؟ ، فتشبث عبد الرحمن بهذه الكلمات ، ثم عين ممثلا عن الامام العباسي في خراسان وقائدا للثورة العباسية بعد ذلك . ولما نحجت الثورة عين ابا مسلم على ولاية خراسان ، اذ كانت أكبر وأهم ولاية في الدولة العباسية بعد ذلك فسيطر على أمورها، وضبط احوالها عبر شبكة قوية من العناصر الموالية له ، ولم يعر أي بال بعد ذلك لأي احد حتى الخليفة نفسه ، وعندما ذهب ولي العهد ابو جعفر المنصور الى خراسان لأخذ البيعة للخليفة ابي العباس (وجد ما لا يمكن تحمله من قبل والٍ من الولاة ، حتى انه قال لأخيه ابي العباس : لست بخليفة ولا امرك بشيء ان لم تقتل ابا مسلم ، قال وكيف ؟ قال : والله ما يعبأ بنا . وقد حاول ابو جعفر المنصور التخلص من ابي مسلم في الانبار الا ان الخليفة طلب تأجيل تنفيذ العملية في اللحظة الاخيرة . ثم ذهب أبو مسلم بصحبة ولي العهد الى مكة المكرمة ، وهو مملوء حنقا وغيظا لعدم توليته الموسم ، اذ ان الخليفة عين أخاه لهذه المهمة الكبيرة . ذهب ابو مسلم وهو ينفق الاموال على الاعراب، ويمنع احدا من أن يوقد نارا مادام هو يسير معه ، بل عليه أن يأكل من طعام الأمير ، وعندما وصل الى الديار المقدسة فرق فيمن يحضر الصلاة معه درهما درهما ، وولي العهد ينظر ويشاهد كيف تبذر اموال الامة والدولة العباسية بدون رحمة ، من أجل كسب رخيص يجنيه ابو مسلم الخراساني ، فالمال في الحقيقة هو مال الدولة وجمع باسمها ، ولكنه اخذ الآن ينفق من غير دراية او تقدير او حسن تصرف او خطة دقيقة تضع الأمور في نصابها الصحيح ، وقد استمر هذا التصرف في رحلة الذهاب والعودة من مكة المكرمة .وكما مربنا عند الحديث عن تولي المنصور للخلافة ، فانه تصرف تصرفات طائشة في الطريق مثل تأخير البيعة للخليفة الجديد ، وغير ذلك من الامور التي لا تنم عن عقل سياسي ، بل عن غباء واستهتار شديدين . وقد حاول الخليفة التخلص منه في الطريق لكنه أجل الفكرة الى وقت آخر . وبعد اعلان عبد الله بن علي حركته ومطالبته بالخلافة ، عين الخليفة ابا مسلم قائدا للجيش العباسي المتجه لمحاربة عبد الله ، وبعد انتهاء المعركة ارسل الخليفة احد مواليه لإحصاء غنائم المعركة (يقطين بن موسى) ، بوصف ان هذه الاموال هي اموال الدولة وجيش الدولة الذي اعد لمحاربة الدولة البيزنطية لكن ابا مسلم عدها غنائم حرب ، وفق تصوره وتقديره الخاطيء ، اذ كيف تعد اموال قطعة عسكرية متمردة غنائم ؟ كيف تعد اسرى الدولة نفسها عبيدا ؟ كيف تعد نساء الجند العباسي إماءً؟ وكيف

؟وكيف ؟؟!هذه هي نقطة الخلاف. وبدلا من ان يتدارك ابو مسلم الموقف ويذعن للامر الواقع ويعتذر من الخليفة نجده يهدد ويرعد ويزبد ، وكأن الخليفة تابع له . وهذه نقطة لابد من ان اقف واعلق عليها . على الخليفة او القائد وفق التقاليد الاسلامية ان لا يعطى الشخص اكثر مما يستحق ، وان يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب لا ان يعين شخص اميا او شبه امي مسؤولا عن العلماء ، ولا يعين عاملا مديرا لمصنع وهكذا ، لأن النتيجة ستكون عكسيةعلى الجميع ، وعلى المجتمع وتتحمل الخلافة العباسية مسؤلية أي تقصير قد يحدث ، وهذا ما حدث فعلاً ومن يتفحص التاريخ ، يجد مصداق هذا القول . فالخطأ لا يترتب عليه الا الخطأ ، مهما جملنا صورة الشخص ، لا يمكن لعبد ان يقود سادة قوم في مجتمع قبلي له اصوله وتقاليده ، ولا يمكن لجاهل أن يكون محدثا او فقيها وهكذا ، فالخطأ الذي ارتكبه الامام ابراهيم بتولية ابا مسلم لرئاسة الدعوة العباسية في خراسان، قد نتج عنه سوء تصرف تحملت الدولة العباسية تبعاته عندها وافق الخليفة مجبرا على عد غنائم الجند العباسي ، غنائم حرب نزولا عند رغبة أبي مسلم وهي رغبة تخالف الشرع الاسلامي وما جاء بــه القرآن الكريم . وقد اراد الخليفة ابو جعفر المنصور ابعاد ابي مسلم عن ولاية رخراسان ، على اعتبار انه خليفة واليه يعود تقدير الامر الأن قوة ابي مسلم هي مع في بقائه في خراسان، فاصدر امرا بتولية ابي مسلم لولاية الشام ومصر : ((اني قد وليتك الشام ومصر ، فارسل الى مصر من احببت ، لتكون قرب امير المؤمنين)).لكن ابا مسلم رفض هذا التعيين وقال : ((هو يولينيالشام وخراسان لي) وغادر الشام الى خراسان دون أمر من الخليفة ، ضاربا عرض الحائط كل الاعراف الادارية والعسكرية في التنقل والتعيين .اضطر الخليفة الى معالجة الامر معالجة ذكية ، فغادر الانبار الى المدائن وعسكر بها ، وبدأت حملة مكثفة من الاجراءات الادارية والعسكرية والدبلوماسية من اجل ثني ابي مسلم عن الذهاب الى خراسان ، حتى تمكن من ارجاعة لمقابلة الخليفة ومن ثم التخلص منه ، وبذلك تخلصت الدولة العباسية من أكبر خطر كاد يودي بها ، لكن دهاء المنصور، ودبلوماسيته وعمق نظره جنبا الدولة مزيدا من الاموال والارواح والجهود . وبعد مقتل أبي مسلم الخراساني دخل احد المهنئين على الخليفة أبي جعفر المنصور، وقال له : عد هذا اليوم أول خلافتك

3- الاوضاع العامة للدولة العباسية في عهدالمنصور:

لقد اثر مقتل ابي مسلم الخراساني على مجمل الاوضاع في خراسان اذ لم تشهد هذه المنطقة أي استقرار طيلة تلك الفترة،فقد توالت فيها الثورات تلو الثورات ،وكان يقود بعضها ولاة خراسان،وهذه ناحية يجب الالتفات اليها ومناقشتها و لماذا يعلن أكثر من وال العصيان وشق عصا الطاعة على الدولة العباسية ؟ هل هنالك خلافات جوهرية عقائدية تجيز لهؤلاء الولاة بالثورة على

الخلافة العباسية ؟ هل تغيير النظام المالي والضريبي كان وراء تلك الثورات ؟ هل المطالبة بمزيد من الاموال من خراسان ،أي أكثر من حصة الدولة هي السبب في ذلك ؟ هل ان طموح بعض الولاة والخوف من عقدة ابي مسلم كانت وراء تلك التمردات؟ وهل أن تأخر رواتب الجند كانت سببا في نقمة الجند على بعض الولاة؟ هل انت الأوضاع الفكرية والدينية دورها في تأزم الوضع في خراسان ؟ ألم يحسن الولاة ادارة شؤون الرعية بحيث انساقوا وراء كل داع الى اية ثورة او تمرد؟ كل هذه الاسئلة تدور في مخيلة الباحث لإستقصاء الاسباب الحقيقية وراء تلك الأوضاع غير المستقرة في خراسان

وفي تقديري أن مجموعة عوامل ادت دورا في تأزم الوضع في خراسان منذ العصر العباسي الأول من بينها :

1- الثورة العباسية قد ضمت الى صفوفها كل العناصر المعارضة للدولة الأموية ،وهذه العناصر كانت لها اهدافها وتطلعاتها ،ولما استقرت الدولة العباسية ،سارت على ما كانت عليه الدولة الاموية في الادارة والتنظيم والموقف من الدين الاسلامي ومساندته،وضرب كل الحركات التي لا تتماشى مع مباديء الاسلام

2- عدم كفاية واردات العراق له ،لما يتوجب عليه من التزامات مالية وادارية كبيرة ،فكان دوما يطلب أكثر من حقه من واردات خراسان ،مما سبب للدولة العباسية الكثير من الاشكالات

3- سوء ادارة بعض الولاة ،اذ استحوذ قسم منهم على الاموال دون الدولة ،وعندما تهم الدولة بمحاسبة الوالي او معاقبته ،يعلن الثورة او العصيان ،ويحتجن ما لديه من أموال.

4- سوء الادارة الضريبية وتذبذبها بين نظام المقاسمة والنظام النقدي مما ولد ارباكا اداريا وماليا لدى الادارة في خراسان وعامة الناس ،واحرج الدولة والناس معا ،ولم يعد الفلاح يستطيع أن يسدد ما عليه سنويا ،ونشأت ديون على الفلاحين بما يعرف بدفاتر البقايا

5- خضوع الناس في عملية الجباية الى سلطة وسيطرة الدهاقين الذين لم يكونوا مسلمين في الاغلب ،وان اسلم بعضهم في بداية المدة العباسية فهو للبقاء في مناصبهم التي احسنوا استغلالها لصالحهم وليس لصالح الدولة العباسية او الفلاحين .وهذا ما كان معروفا في خراسان ،وفي بقية المناطق الأخرى،سيطر رؤساء القرى او الشيوخ على عملية الجباية في معظم أرجاء الدولة العباسية ،يساندهم الولاة ورجال الشرطة وعمال الجباية ،وموظفي الدواوين في الاقاليم. اما عن بقية الاقاليم فقد شهدت بلاد الشام تململا اضطرت المنصور للخروج الى مدينة القدس بحجة توديع حملة

عسكرية ،الى شمال افريقيا ،في حين هي في حقيقتها لإحداث نوع من الانسجام مع اهل الشام وفلسطين ،وقد قال ابو جعفر المنصور عن هذه الرحلة ((وخرجت الى الشام ،ولو اختلف على سيفان في العراق لضاعت الخلافة)) كما شهدت مناطق شمال افريقيا اضطرابات اجبرت الخليفة على ارسال حملة عسكرية الى المنطقة من اجل اعادتها الى حضيرة الدولة العباسية ،كما شهد اليمن وسجستان ايضا ظهور حركات الخوارج ،فكان وجود معن بن زائدة الشيباني حلا لمثل هذه الحركات ،فارسل الى اليمن وضبط أمورها ،ثم نقل إلى سجستان،حيث دفع حياته ثمنا لإعادة المنطقة الى حضيرة الدولة العباسية. ودع المنصور الحياة وقد ضبط امور الدولة العباسية ونظمها وجمع من الاموال ما يكفي لمصاريف عشر سنين،وهيأ الخلافة لإبنه محمد المهدي بعدان وطد له الأمور ،وانفق في بناء بغداد المال الكثير وتوفي في طريق الحج عام 158هـ -774م

نقل ولاية العهد :

لم يكن الخليفة أبو جعفر المنصور راضيا على وصية اخيه ابي العباس ،حول تولية عيسى بن موسى لولاية العهد ،ولربما كانت تدفعه في هذه المعارضة اسباب،ادركها هو دون غيره،ونستطيع ان نتلمس بعضها ،اثناء وجود عيسى بن موسى في المدائن ،عندما قتل المنصور ابا مسلم الخراساني و فعندما رآه مقتولا استرجع ،فقال له المنصور يابن الشاة وهل كان لكم معه سلطان؟ صحيح ان عيسى بن موسى كان قائدا عسكريا قديرا ،وصحيح انه رفض خلع المنصور بالاتفاق مع ابي مسلم الخراساني ،الا انه في نظري لا يصلح لولاية العهد ،فضلا عن قبوله فيما بعد الاشتراك في قتل عمه عبد الله بن علي ،لولا نصيحة كاتبه يونس بن ابي فروة،الذي حذره من مغبة هذا العمل ولجهله بما كان يراد بالدولة العباسية ،وكان رأي المنصور أن يعين احد ابنائه لمنصب ولاية العهد ،لكنه اجل هذا الموضوع الى وقت افضل ،وظروف افضل ،ولم يرد ان يفتح هذا الموضوع في بداية حكمه ،المليء بالمخاطر وقد سار المنصور بطريقة مدروسة وذكية التنحية عيسى بن موسى عن ولاية العهد،فقد أرسل ابنه محمد المهدي الى خراسان وعينه واليا عليها يدعمه خازم بن خزيمة التميمي،فضبط امور خراسان وتقرب الى اهلها بما قام به من اجراءات لتنظيم امور ولاية خراسان ،وكان صدى اعماله ينقل إلى المنصور ،وتذاع أعماله في هاشمية الكوفة،وعندما رجع المهدي في سنة144هـ -761 م الى العراق استقبله والده استقبال الفاتحين ،يصحبه رجال الحاشية وكبار موظفي الدولة ،والقى الشعراء بين يديه القصائد التي تمجد دوره في خراسان ثم زوجه من ابنة عمة ريطة بنت ابي العباس واخذ يجلس عن يسار والده في المناسبات العامة ويجلس ولي العهد عيسى بن موسى عن يمينه وفي احدى المرات استدعى المنصور عيسى بن موسى وكلمه في خلع نفسه من ولاية العهد واعدا اياه بالمال الوفير والاقطاعات المغرية ،الا

ان عيسى بن موسى رفض هذا العرض ،وقال ((يا أمير المؤمنين كيف بالايمان علي وعلى المسلمين ...فقال له المنصور قد علمت اني لا اريد اكراهك في ذلك ،وانما اردت معرفة رأيك)). وترك المنصور ذلك الامر في الظاهر ،لكنه كان يعمل في سبيل ذلك بكل ما أوتي من جهد ثم قدم في سنة 147هـ - 764 م وفدا من خراسان ،ومن جملة مطالب الوفد كانت ضرورة تولية محمد المهدي لولاية العهد ،وهذا الأمر كما يقال قد احكم بليل ،ويقف وراءه المنصور نفسه .على اثر ذلك استدعى المنصور ولي العهد عيسى بن موسى وطلب منه تقديم ابنه عليه ،فرفض هذا العمل فهدده المنصور بقتل ابنه امامه حتى رضخ للأمر واصبح ولي العهد الثاني ،ومن جملة وصايا المنصور لإبنه قبل وفاته،أن يبذل جهده من اجل ان يزيح عيسى ابن موسى عن ولاية العهد ،وقد فعل ذلك الخليفة محمد المهدي ،لقاء مبلغ خيالي من المال

د- الثغور في عهد أبي جعفر المنصور :

كما تقدم،فان اباجعفر المنصور،قد تولى اقليم الجزيرة الفراتية وارمينية،في خلافة اخيه أبي العباس ،وكانت هذه المنطقة تشهد اشتباكات مع الدولة البيزنطية ،بشكل مستمر ،بوصف انها منطقة احتكاك بين الدولتين ،وعندما تولى الخلافة نجد انه علي بهذه المنطقة ،وقام باعادة تعمير وتحصين الكثير من القلاع والحصون والمواقع ،ووضع العيون على الطرق لمعرفة ما يجري في الجهة الأخرى من الدولة العباسية .كما اسهم الخليفة ابو جعفر المنصور بوضع النظام الثغري واسسه في هذه المنطقة ،فشجع الجند على السكنى في هذه المنطقة الحدودية ،ومنحهم الاقطاعات مع منحة بناء دار تبلغ قيمتها مائة دينار،وزياد شهرية في الراتب تبلغ عشرة دنانير ،فضلاعن توزيع الاراضي الزراعية عليهم لغرض استغلالها لصالحهم واعفائهم من بعض الضرائب تشجيعا لهم على الاستقرار في هذه المنطقة ،وترغيبا للآخرين في اللحاق بهم مستقبلا ،وكان الخليفة ابو جعفر المنصور يهدف الى ربط المقاتل بأرضة وأسرته وزرعة ،وهكذا فالجندي يوفر لنفسه الغذاء ولأسرته والعلف لدابته ،وبذلك تتمكن الدولة من الاطمئنان على المناطق الثغرية،وتزيد من دفاع الجندي عن المنطقة التي فيها بيتة وارضه وزرعة ومستقبل اولاده كما لم يغفل الخليفة المنصور عن ارسال الحملات السنوية والصوافي والشواتي كما سنرى ذلك في الفصل الثالث

.